أبو القاسم الشَّابي

نماذج نثرية

obeikandl.com

obeikandl.com

الشعر

ماذا يجب أن يفهم منه؟
وما هو مقياسه الصحيح؟

كثيراً ما تحدث الناس عن الشعر وكثيراً ما رتلوه.

فالشاعر والفنان، والمؤرخ والفيلسوف، والراهب في ديره، والناسك في صومعته، والشاب في مدرسته، والفادة في خدرها، والراعي بين الغابات والجبال، والحصاد بين السنابل والأغمار، والبحّار يصارع الموج ويقاوم العاصفة في زورقه الصغير، كل هؤلاء يتحدثون عن الشعر أحاديثَ كثيرة متباينة، ويصفونه بأوصاف غريبة، ويتكلمون عنه بلغة يقرب بها كل بين ما في نفسه وبين حقيقة الشعر، وكل هؤلاء يرتلونه في أوقات الوحدة والانفراد، ويتغنون به حينما يخلو كل

obeikandl.com

واحد إلى نفسه ويصغي إلى أحاديث قلبه الكثيرة، ولكنك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن "الشعر" وعما يفهم من هذه الكلمات الصغيرة، لتبلبلت ألسنة، واختلجت شفاه، ولرأيت بسمات حائرة، وأخرى ساخرة، وأخرى ساذجة طافحة بمسرات الحياة...

الشعر! وهل يسأل عن الشعر؟

إن الشعر هو الحياة نفسها... في حسنها ودمامتها، في صمتها وضجتها، وفي هدوئها وثورتها، في نومها ويقظتها، وفي كل صورة من صورها ولون من ألوانها.

الشعر! وهل يسأل عن الشعر؟

إن الشعر يا صاحبي، هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار، وفي بسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حواليها الفراش، وفي النغمة المغردة يرسلها الطائر في الفضاء الفسيح، وفي وسوسة الجدول الحالم المترنم بين الحقول، وفي دمدمة النهر الهادر المتدفق نحو البحار وفي مطلع الشمس

وخفوق النجوم، وفي كل ما تراه وتسمعه، وتكرهه وتحبه، وتألفه وتخشاه. فهل بعد ذلك تسألني عن الشعر؟

هكذا يجيبك الشاعر وهكذا يتحدث إليك الفنان. ويقول لك المؤرخ: إنما الشعر يا هذا ما مثل عوائد الشعب وأخلاقه، وعقائده وأوهامه، وفضائله ورذائله؛ وأعطاك من كل ذلك صورة صادقة ناصعة للحق والتاريخ. ويجيبك قائلاً: هل الشعر يا صاحبي إلا ما أوقفك في هيكل الوجود، وعلمك الحكمة وأسمعك أغاني الحياة وصلواتها. ويقول لك الراهب: هو الشعر يا بني، كل ما تغنى بمجد الله في السموات والأرض، واقتلع الكفر والزيغ من فؤاد الإنسان. ويقول لك الزاهد: الشعر يا ابن أخي، هو ما حبب إلى النفس القناعة والزهد وأبعدها عن ضجة العالم، لتصغي إلى الله متكلّماً. ويقول لك الشاب: هو ما يتغنى به قلبي حينما يسكره رحيق الحياة.

وتقول لك العذراء: هو ما أسمعه من شفاه الشاب الجميل حينما يجالسني فأنسى العالم في جواره. ويقول لك الراعي: هو أغنيتي الجميلة في الصباح حينما أسوق المواشي بين المزارع، وأطارد الطير فوق الجبال، وألحان شبابتي في المساء، حينما أرجع إلى الحي وفي قلبي غبطة القناعة، وفي عيني وميض السرور. ويجيبك الحصاد قائلاً: هو تلك الأغاني البهيجة التي ترتلها جموع الشبان، وأسراب الصبايا حينما يجتمعون بين الحقول لحصاد السنابل الشقراء وجمع الأغمار الناضجة. ويقول لك البحار: هو تلك الأنشودة الساحرة التي أتلوها وأنا بين أهوال البحر وزئير الأمواج، فتنسيني مخاوف اليم وتبعث في ساعدي قوة الجبار وفي قلبي عزم الشباب.

هكذا يجيبك هؤلاء عن الشعر. وكل واحد منهم إنما أعطاك صورة من نفسه ورسم لك أحلام قلبه في هاته الكلمة الصغيرة الكبيرة.

أما أنا فلا أريد أن أبلبلك فأقولَ لك: إن الشعر هو كل ما قال هؤلاء ـ وإن كان ذلك حقاً ـ ثم أمضي صامتاً. لأنني أعتقد أنك ستظل مبلبل النفس مضطرب المشاعر، تسائل نفسك من حين لآخر ما هو الشعر؟ بل إنني سآخذ بيمينك وأمضي بك في طريق معبدة واضحة، لا التواء فيها ولا أشواك. وسأحدثك عن الشعر، حديثاً هادئاً لا عنف فيه ولا قوة، كأحاديث الأصدقاء في ليالي الصيف المقمرة. وسأحاول أن أجعله بسيطاً واضحاً سهلاً، يرسم لك صورة مجردة عن الشعر، ويعطيك مقياساً صحيحاً أو قريباً من الصحة ـ على الأقل ـ لتفهمه وللحكم عليه. ولكنني سأوجز ما استطعت في تحدثي عن الشعر لأنني وقد استوقفتك لتسمعني مكلماً عنه، لا أريد أن آخذ عليك وقتك.

الشعر يا صديقي "تصوير وتعبير" تصوير لهذه الحياة التي تمر حواليك: مغنية، ضاحكة، لاهية. أو مقطبة، واجمة باكية. أو وادعة حالمة، راضية، أو مجدفة، ثائرة، ساخطة. أو تصوير لآثار هذه الحياة التي تحس بها في أعماق قلبك، وتقلبات أفكارك، وخلجات نفسك، ورفرفة أحلامك وعواطفك.

وتعبير عن تلك الصور أو هاته الآثار بأسلوب فني جميل، ملؤه القوة والحياة، يقرأه الناس فيعلمون أنه قطعة إنسانية من لحم ودم وقلب وشعور لأنهم يحسون أنه قطعة من روح الشاعر، وعبق من عواطفه، أو فلذة حية من فؤاد الحياة. هو هذا الأسلوب الذي يكون عنيفاً كالعاصفة حينما يمثل سخط الحياة أو ثوران العواطف، ويكون وادعاً كضوء القمر، حينما يمثل طمأنينة الحياة وسكون النفس، ويكون رقيقاً شجياً كأنات ناي بعيد، حينما يمثل أحلام الحياة ونجوى القلوب المتحابة، ويكون كئيباً مظلماً كقلب الظلام، حينما يمثل بؤس الحياة وأحزان البشر.

فالتصوير الصادق الذي يريك تصورات الشاعر أرقى من تصورات البشر. والتعبير الفني الجميل الذي يكون قالباً إنسانياً حياً لذلك المعنى الذي يشمله، ذلك هو الذي ينبغي لك أن تبحث عنه، كلما قرأت قصيداً أو رتلت مقطوعاً، أو تصفحت ديواناً. فإن وجدته فكن على يقين أنك إنما تقرأ شعر الحياة، وإن أنت أخطأته، فاعلم أنك تقرأ شعراً زائفاً لا قيمة له في سوق الخلود.

ولا يهمك بعد أن تجد "التصوير الصادق" و"التعبير الصحيح" أكان ذلك الشعر غنائياً يتغنى بخوالج النفس وعواطف الإنسان، أم كان قصصياً يقص عليك فصول الحياة كما هي أو يرسم لك مثلها العليا كما توحيها إليه أحلامه. أم كان تمثيلياً يمثل لك كثيراً من حقائق النفس وصور الحياة، ومشاهد هذا الوجود. وإنما الذي يهمك بعد أن استوثقت أن الذي بين يديك نتاج قريحة خصبة منتجة، وخيال حي صحيح، هو أن تعرف هل أنك تقرأ مثلاً أعلى من الشعر الإنساني الذي يكاد يسمو إلى درجة الإلهام، أو أنك تقرأ دون ذلك!.. ولكي تدرك

هاته الحقيقة فانظر هل هو من ذلك النوع الذي يوسع أفق الحياة في نفسك، ويجعلها تحس بتيارات الوجود أكثر مما كانت تحس، وتدرك من معانيه وأصواته أكثر مما ألفت أن تدرك، وينسيك وجودك الإنساني لحظة، لتستغرق في عالم الجمال المطلق الذي يخلقه الشاعر حواليك ويسبغ منه على نفسك. أقول انظر فإن كان من هذا النوع فاعلم أنك تقرأ شعراً إلهياً لا تجود بمثله الحياة كثيراً، وإلا فاعلم أنك تقرأ مثلاً دون ذلك.

ذلك هو الشعر في نظري يا صديقي، وهذا هو المقياس الذي أعرف به الشعر من غيره، وأدرك به المثل الأعلى مما عداه. ولكنني قبل أن أفارقك، أقول لك: إن هذا المقياس من شأنه أن يقضي عليك ــ إن اتبعته ــ أن تلقي بكثير من أصنام الشعر ودواوين الشعراء إلى النار أو إلى سلة المهملات. فإن كنت رقيق القلب جم العواطف فإنني أنصح لك في إخلاص أن لا تأخذ هذا المقياس يا صاحبي، وأن تقنع بمقياسك إن كان لك مقياس تقدر به قيم الشعر في عالم الأدب. وإن كنت من الإخلاص للأدب والفن بحيث لا

يحزنك مشهد الأصنام البشرية تحترق في جحيم الحياة، ولا يحرك نفسك أو يهز مشاعرك رؤية الأسفار الكثيرة تتدثر في ظلام الإهمال وتنبعث منها رائحة الموت. فلتأخذ هذا المقياس ولتكن مخلصاً في استعماله، وأنا الكفيل بأنك تكون قد حزت مقياساً دقيقاً تعرف به كيف تفرق بين شعر الحياة الخالد، وبين شعر السخافات والتقليد.

opeikandl.com

obeikandl.com

يقظة الإحساس

وأثرها في الفرد والجماعة

تسمع إلى هذا الشاعر فإذا أنت أمام روح إلهيّ نبيل يسمو بنفسك إلى آفاق الحق والفن والجمال ويجعل منك كتلة من شعور قدسي مشبوب. وتسمع إلى آخر فترى أنك تسمع إلى حديث ساذج بسيط لا يميزه عن أحاديث الناس العادية إلا رنة النغم وتواتر القوافي وجمال التعبير وتسمع إلى غيره فتخال أنك تجلد بالسياط أو تساق إلى الموت على وجهك.

وتصغي لهذا المنشد أو الموسيقار فيستفز نفسك ويثير وجدانك ويهز عواطف قلبك ويذكي خيالك إلى أقصى مداه حتى تكاد تستحيل شعلة متوهجة من خيال وذكريات وأحلام. وتصغي لسواه فلا تشعر وأنت

obeikandl.com

تصغي إليه إلا بحلاوة في الصوت وجمال في المقاطع ورقة في النشيد وشيء من المتعة يخفف عن النفس أعباء العيش وشقاءه، وتصغي لغير هذين فيكاد التثاؤب ينيمك والضجر يقضي عليك. وترى صورة لهذا الرسام أو تمثالاً لذلك النحات فتشعر بلذة روحية سامية تعرج بك إلى سماء الإلهام ومعارج الوحي البعيدة وترى لغير هذين فلا تحس في نفسك بغير الإعجاب البسيط الفاتر. وترى الآخرين فتظل نفسك هادئة ساكنة كأنك ما رأيت شيئاً أو تشمئز وتنفر وتفر بذوقك فراراً.

وهذا شعب من شعوب الأرض، يجد ويكدح وينتج ويخصب أينع الثمار وأحلاها، فإذا له حياته الأدبية الناضجة وحياته العلمية الراقية وحياته العادية المهذبة ومشاعره الطامحة إلى ما هو أجلّ من ذلك وأسمى، إلى المثل الأعلى المحجب في ظلام المجهول. وهذا شعب آخر، منصرف إلى التبطل والفراغ، مخلد إلى الكسل والخمول لا يعمل، ولا ينتج ولا يجود على الإنسانية بخير. ليس له فن ولا علم، ولا أدب ولا طموح، بل ولا حياة ... أيضاً. إلا كما تحيا ماشية الحقل وآبدة الجبل..

فما هو السر يا ترى في هذا التفاوت الواضح بين هؤلاء؟

ستقول: الحرية. فكلما كان الفنان حراً في فنه، كلما اكتشف آفاقاً جديدة من السحر والجمال. وبذلك يسمو على غيره ممن لا يعطي لفنه حرية الحياة.

وهذا حسن. لولا أنه إن صح صرفه إلى الفنان فإنه لا يصح صرفه إلى الشعوب لأن كثيراً ما تجد الشعب حياً منتجاً تزخر في عروقه دماء الحياة وعزمها، ومع ذلك لا يملك من الحرية ما يتكافأ مع حيويته ونتاجه. وهو فوق ذلك تعليل للشيء بغير علته. وعندي أن السبب الحقيقي لهذا التفاوت هو: "يقظة الإحساس" لا الحرية. لأن حرية الفنان في فنه، إنما هي من آثار هاته اليقظة الروحية وثمرة من ثمارها. فإذا تيقظ الإحساس في قلب الشاعر والفنان ـ بتعبير أشمل ـ كان له ـ بالرغم عنه ـ استقلاله الذاتي الذي يشعره بأنه قوة حية منتجة، من المستحيل أن تندمج في سواها، وأن لا تشق لنفسها سبيلاً بكراً للمجد والحياة. وكانت له كرامة ترفع عن أن

تـذوب في غيرهـا أو تـنحط إلى درك التقليـد. وبـذلك تصبح نفسه شعلة حية نامية تتوهج في قلب الحياة. وطائراً سماوياً يتغنى بأفكار وأحلام البشر. وإذا تيقظ الإحساس في روح الشعب تحركت في صدره ـ رغم كل شيء ـ تلك الأشواق الطامحة والرغبات الجامحة التي كانت مكبلة نائحة في ليل الدهور. وإذا ذاك يشعر بنفسه ـ وإذا قلنا "يشعر بنفسه" فقد قلنا كل شيء ـ ويعلم أنه عضو في هالة الجامعة البشرية. عليه واجب السعي والعمل في سبيل كمال الإنسانية المنشود، في سبيل مثل الحياة العليا، في سبيل الحق والقوة والجمال.

وإذا أردنا أن نستشهد التاريخ والواقع على ما نقول فهذا "المتنبي" الشاعر العربي وهذا "بيتهوفن" الموسيقار الألماني. وهذا "واطس" الرسام الرمزي الانكليزي. وهذا "ميكلانجلو" المثال الإيطالي. فكل من هؤلاء العظماء الأربعة قد كان له معاصروه ومعارضوه والضاربون معه في سبيل واحد. ولكنهم انفردوا دون معاصريهم بالعبقرية الخارقة والمجد والخلود. فما هو

هذا السبب الأعظم الذي جعل الإنسانية تمجد هؤلاء تمجيداً لا تمنح معشاره لمن عاصرهم من الفنانين والشعراء؟

إنه يقظة في أرواح هؤلاء عدمها معاصروهم. يقظة روحية عميقة سامية هي التي كانت تملؤهم شعوراً بأنفسهم وبالحياة. ومن شعر بنفسه حق الشعور احترمها وسما بها عن مواطن الضعة والحقارة. ومن شعر بالحياة حق الشعور لم يستطع أن يكون بوقاً يردد صدى غيره ولا بركة آسنة تعكس صفحتها ظلاله... بل كان بحراً رحيباً داوياً يدمدم بما في أعماقه من قوة وعزم وأهوال يقظة روحية عميقة. وتلك هي التي كانت تعلم "المتنبي" من سنن الحياة وغرائزها وقواعد الاجتماع ونواميسه ما لا يعلمه سواه. وتنطقه بذلك الأسلوب الحي المتماسك الأجزاء الممتلئ قوة وجمالاً. وهي التي كانت تخلق حول روح "بيتهوفن" جواً شعرياً من الأنغام السماوية الخالدة، وتفيض على موسيقاه ما في هاته الحياة العاصفة وقلب الإنسان من أفراح راقصة في ضياء القمر، وآلام متفجعة في ديجور

الأسى، وأحلام تغني للفجر أناشيد الضياء. وأشواق تلتهب بنار الوجد والحنين. وهي التي كانت تجسد لـ "واطسن" معاني الحياة والحب والموت، وتريه من الاحلام والعواطف والأفكار صوراً سحرية رائعة لم تخطر على قلب بشر. وهي التي كانت تنبه "ميكلانجلو" إلى ما في تماثيل عصره من مرض وخور وجمال شاحب مهزول، كاد ينقلب دمامة شوهاء في نظر الشعور الدافق القويم. وتهيب به أن ينهض بهذا الفن المحتضر وينفخ فيه روحاً جديدة ليمثل جمال القوة المهيب.

وهذه الأمة العربية. كانت بالأمس رائد العالم ورسول المدنية والنور حين كانت روحها مستيقظة ناهضة، وإحساسها مضطرماً مشبوباً. ثم أمست في آخر القافلة الإنسانية نائمة تلوك أحلام الماضي لما تبلد إحساسها وفقدت شعورها بنفسها وبالحياة. ثم ها هي اليوم تحاول النهوض واليقظة ثانية لأن روحها قد أخذت تستيقظ من جديد.

ثم إن هناك ظاهرة قد تكون لأول وهلة غريبة ومثاراً للحيرة والتساؤل وهي أن الآداب والفنون، كثيراً ما تزدهر في عصور الثورات والانقلابات وبين الجماجم المنثورة والدماء الجارية.بل وربما كانت أحياناً أبهى منظراً وأعبق شذى وأنطق بمعاني الحياة من آداب الراحة والأمن والسلام وفنونها. أما أنا فلا أراها غريبة ولا مدهشة، بل أراها نتيجة منطقية ومعقولة لنفسية الأمة الجائشة، لأن الثورات لا تحدث إلا والنفوس أكثر إحساساً بالحياة وملل من الحاضر، وشوق إلى المستقبل، وطموح إلى المجهول... وتلك هي يقظة الإحساس بمعناها الشامل العميق.

وإن شعباً يكون مستيقظ المشاعر متسع جوانب الحياة، لجدير بأن يستخرج خير ما في الطبيعة من فن وحق. وإن فناً يكون مصدره ذلك العطش الروحي الذي يلهب النفوس، وتلك العواطف الثائرة التي تعصف في قلب الشعب، وبعبارة أخرى، إن فناً يكون مصدره تلك اليقظة الروحية العميقة التي سميناها "يقظة الإحساس" لهو الفن الحي في صميمه، الفن الذي لا ينصرف إلى القشور ولا يقنع بما دون اللباب.

ومن هنا تفهم معي أن يقظة الإحساس هي روح الحياة المنتجة الولود التي تصقل العبقرية وتؤجج نيران النبوغ.

صفحات دامية

... تلك حياة بعيدة ... تجلت كالفجر، وتوارت كالحلم، واضمحلت في ظلام القبور.

تلك حياة جميلة ... قد تهادت غيمة وردية في سماء الوجود، وتدفقت نهراً مترنماً بأحلام البحار، ثم سارت جدولاً صامتاً في أودية الموت ...

تلك حياة شعرية ساحرة ... قد حاكها الأمس من آصال الفردوس وأسحاره، ووشتها أنامل الدهر بأزهار الربيع ...

obeikandl.com

تلك حياة قصية نائية ... قد تألقت كالنجوم، وتبخرت كالغيوم، واضمحلت كأنفاس الزهور ...

تلك حياة فتية حالمة ... ما استحمت في لجة الليالي والأيام، ونشرت غدائرها الذهبية فوق المياه ... حتى تخطفتها المنايا وسارت بها إلى مأواها البعيد ... وهناك، في ظلمات الأبد الغامض الرهيب، تتألم تلك الحياة الشقية، وتبكي وحدها بين الصخور ...

* * * *

... كنا نسير نحو الغاب، وكانت غماغم الحقول تحدثنا عن الحب والحياة، وكانت تقنع السماء سحابة رقيقة ساجية، كأنها قناع حورية من بنات الأحلام ... أو رداء ملك من ملائكة الفردوس ... وكان الغاب يبدو في ضياء القمر كرؤيا نبي أو خيال شاعر ... وكان الحب يتهادى أمامنا، ثملاً بين المروج الناعسة في سكون الليل، وعلى منكبيه درع قصير كضباب الصباح،

جميل كفيوم الربيع ... ومن حوله بنات الربيع يتناغين بصوت أعذب من أغاني السواقي بين الحقول ...

ولما اقتربنا من الغاب سمعنا طائراً يغني أنشودة القمر ... وسمعنا قيثارة الحب تترنم في جواره ... وسمعنا صوتك العذب الجميل يتغنى بوحي الجمال، يا ابنة الليل، ويا ربة الأحلام.

ولما جلسنا في ظلال الزيتون، وبين أشجار اللوز المزهرة، كان الطائر قد سكت، وكانت قيثارة الحب تتأوه في يديك، يا ابنة الليل ويا ربة الأحلام، وكانت أناشيد الغرام تتنزل علينا من مكان بعيد ...

ولبثنا نصغي لأنشودة الحب، حتى توسط البدر قبة السماء؛ واختلجت كواكب الليل، وإذ ذاك شعرت بالحب يستجيش في قلبي، وبالحياة تتدفق من شفتي.

* * * *

تلك كانت حياتي بالأمس، حينما كانت نفسي بخوراً يتضوع في معبد الحب، ورحيقاً يهرق تحت أقدام الجمال، وأنشودة إلاهية، تتغنى في هيكل هذا الوجود...

تلك كانت حياتي بالأمس، حينما تمايلت في قلبي رؤى الحب الجميل كما تتمايل غلائل الحور في ضياء القمر، واصطفقت في صدري أحلام الشباب الأولى، كما تصطفق أمواج البحيرة الموردة بأشعة الشفق الجميل...

تلك كانت حياتي بالأمس، حينما كان هذا القلب الخفوق يتضوع بعبق الحياة، ويتوهج بنار الخلود، ويزخر بشتى العواطف الأحلام ... وحينما كانت نفسي تركع في محاريب الغاب الجميل، مرتلة صلاة الحب وأغاني الفصول...

تلك كانت حياتي بالأمس، وما شيده الأمس في ضباب الفجر المرصع بالنجوم ... قد هدمته الأهوال في أحشاء الكهوف العابسة، وأفنت بقاياه غيلان الظلام ...

تلك كانت حياتي بالأمس، أما اليوم، فقد انكسرت بين ثلوج الموت تلك الزهرة السماوية الطاهرة، التي كانت تحبب لي البقاء في هذا العالم، وبقيت وحدي بين الصخور، أشبب بالموت وأتغزل بأهواء القبور ...

obeikandl.com

أُغنِية الأَلم

ما أمرَّك أيها الألم وما أعذبك!

أيتها المرارة، التي أترعت أودية الحياة بأمواج الدموع، وملأت آفاق الوجود بأنات النفوس الدامية!

أيتها اليد الرهيبة الهائلة، التي حطمت على شفاه القلوب كؤوس الأحلام، وأراقت رحيق النفوس بكهف الظلام.

أيها الهول الذي ترهبنا ملامحه وتخيفنا ذكرياته.

أيها الألم الرائع الذي نحبه ونخشاه ...

obeikandl.com

إنك أنت الشعاع الأزلي الجميل، الذي وشح ظلمة نفسي بالشفق، ورصعها بالنجوم، وتوجها بأضواء الصباح..!

وأنت، أنت الصوت الإلهي النبيل، الذي أوحى إلينا أناشيد السماء، وعلمنا كيف نغني للبشرية أغاني الجمال...

وأنت، أنت المنبع السحري الغريب، الذي ينمق سبل الإنسانية المضرجة بالدماء، بأوراد الحياة وأزهارها.

أيها الألم الإلهي النبيل، الذي نحبه ونخشاه. ترى أية شفت ترشفت رضاب الحياة، ولم يطهرها لهيب الحياة؟! وأية زهرة تلقَّت قُبَلَ الربيع ولم يروع الشتاء أحلامها؟! وأية نفس بشرية عانق الفجر روحها بجناحيه، ولم تراقصها أهوال الظلام، ولا عذبتها أبالسة الجحيم؟!

لنبحث أيتها الحياة، على قدمي ذلك الجبار الجميل، المحدق بما وراء هذا الوجود.

ولنسجد أيتها الليالي والأيام، إلى تلك الأجنحة النارية المشبوبة بأوجاع القلوب، والتي تسمو بالنفس البشرية إلى أقصى آفاق الخلود، وتنحدر بها إلى ظلمات الحياة. أيان تضطرب عواطف الوجود الغامضة، وترتعش شكوك البشر، وتتمايل أحزان الدهور. أيان تلقى (المعري) لزومياته، وتغنى (الخيام) برباعياته، ويرتل الخالدون إنجيل الحياة..!!

ولتتغن يا قلبي بأنشودة الأحزان المرة إلى الأبد ..!

لتركع أيها الوجود بخشوع أمام تلك القوة الإلهية، التي تصوغ من دماء النفوس وأناتها أقدس ما في هذا العالم ، وأبدع ما في مشاعر الأيام، وتنشئ من ظلمات القلوب صباحاً ساحراً سرمدياً، لا تكدره الرياح..!

ولنقدس أيتها الليالي والأيام، تلك الأشعة الوردية الصافية، تنبت حول جداول الأحلام الدامية، هاتيك الزهور النارية المقدسة، التي نستنشئ عبيرها من لوعة (المجنون) وأغانيه. ولتترنم يا قلبي بأغنية الآلام المرة حتى الأبد .!

لنصلِّ أيتها الكائنات بخضوع أمام ذلك الضباب السحري، الذي يستر بنقابه عرائس الشعر وعذارى الأحلام ..!

ولنتغن أيتها الليالي والأيام، بمجد تلك الشعلة الخالدة، التي أنارت للبشرية سبيل الحياة الغامضة، وهدتها إلى شجرة المعرفة، التي لا تنبت إلا على ضفة نهر الدموع والأحزان. ولترتل يا قلبي في سكون، أغاني الأوجاع المرة حتى الأبد..!

ولتمجد يأيها الغاب المنتحب، ويأيها الوادي الكئيب، ويأيها الكهف الأخرس، ويأيتها الحيرة الواجمة، ويأيتها الحياة المغمورة بالدماء، ويأيتها الإنسانية التائهة، المتوجة بالأشواك، الريانة بالدموع، السائرة على بساط لهيب الأوجاع، لنقدس كلنا ذلك الألم، الذي يجعل من الشاعر قيثارة غريبة غامضة، منطرحة في ملتقى رياح الوجود، صداحة بأغاني الحب والجمال..!!

لترتل يا قلبي الكئيب البائس، أنشودة الآلام المرة بالدموع، ولترددها على مسمع الظلام حتى الأبد..!!